مجلة الشهاب • المجلد: 12، العدد: 03 (2026م) • ص ص 801 – 822
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

التعريف برسالة منازل السفر إلى اللّه ومناهل أهله للعلامة أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني السدراتي (ت 570هـ)

An introduction to the Epistle "Manāzil al-safar ilā Allāh wa-manāhil ahlih" by Abū Yaʿqūb Yūsuf b. Ibrāhīm al-Wārjalānī al-Sidrātī (d. 570 AH)

محمد الأمين بابزيز*
مخبر البينية في الدراسات القرآنية والمعارف الإنسانية
جامعة الوادي (الجزائر)
babziz-mohammedelamine@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2026-06-17	تاريخ القبول: 2026-09-18	تاريخ النشر: 2026-11-15

****

ملخص:

تقدم هذه الدراسة تعريفًا برسالة "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله" للعلامة الإباضي أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني السدراتي (ت 570هـ/1174م)، وهي رسالة مخطوطة تم تحقيقها في عمل أكاديمي. يعرض المؤلف في هذه الرسالة خمس منازل للسير إلى الله، مقسمة إلى خمس طبقات من السالكين: المؤمنين، الصالحين، المتقين، الموقنين، والعارفين. وتجمع الرسالة بين علم الزهد والسلوك، وعلم الكلام، والفلسفة الطبيعية، مما يعكس الموسوعية المعرفية للوارجلاني، ويبرز سمات الكلام عند الإباضية المغاربة من اعتدال منهجي وتكامل بين العلوم. اعتمدت الدراسة على ست نسخ مخطوطة محفوظة بغرداية بالجزائر، مع منهجية وصفية مقارنة، لتقديم هذا التراث المغمور وإبراز مكانته في الفكر الإسلامي والمغاربي.

الكلمات المفتاحية: أبو يعقوب الوارجلاني؛ رسالة منازل السفر إلى الله؛ علم الكلام الإباضي؛ العقيدة؛ التصوف.

Abstract:

This study introduces the unpublished epistle Manāzil al-safar ilā Allāh wa-manāhil ahlihi (The Stations of the Journey to God and the Springs of Its People) by the Ibadi scholar Abū Yaʿqūb Yūsuf ibn Ibrāhīm al-Wārjalānī al-Sidrātī (d. 570 AH/1174 CE), which has been critically edited in an academic work. The author outlines five spiritual stations on the path to God, divided into five ranks of seekers: believers, the righteous, the pious, the certain, and the gnostics. The epistle integrates asceticism and spirituality, theology (kalām), and natural philosophy, reflecting al-Wārjalānī's encyclopedic erudition and highlighting key features of Maghrebi Ibadi theology, including methodological moderation and the integration of various

* المؤلف المراسل.

sciences. This study draws upon six manuscript copies preserved in Ghardāya and Banī Yizgen (Algeria), employing a descriptive and comparative methodology, to shed light on this overlooked heritage and its significance in Maghrebi Islamic thought.

Keywords: Abū Yaʿqūb al-Wārjalānī; Epistle of Manāzil al-safar ilā Allāh; Ibāḍī Kalām; Creed; Sufism.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الاهتمام بالمخطوطات الإسلامية يعد من أهم أوجه العناية بالتراث الفكري والحضاري للأمة، إذ تمثل هذه المخطوطات حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وتكشف عن مراحل تطور الفكر الإسلامي في مختلف العلوم والفنون. ولعل من أكثر ما يثير اهتمام الباحثين في هذا المجال، تلك المخطوطات التي ظلت حبيسة الرفوف، لم تنل حظها من الدراسة والتحقيق، رغم ما تحمله من قيمة علمية ومعرفية كبيرة.

ومن بين هذه المخطوطات النفيسة، تأتي رسالة "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله" للعلامة الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (المتوفى حوالي 570هـ/1174م)، وهو أحد أبرز علماء الإباضية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وصاحب موسوعات علمية شهيرة كـ«الدليل والبرهان» و«العدل والإنصاف». تمتاز هذه الرسالة بأنها تجمع بين علوم متعددة تتراوح بين علم الزهد والسلوك، وعلم الكلام، والفلسفة الطبيعية، مما يعكس العقلية الموسوعية لمؤلفها، والقدرة على المزاوجة بين مختلف ميادين المعرفة في عصره.

ولا تقتصر أهمية تحقيق هذه الرسالة وغيرها من نفائس التراث الجزائري على إحياء نص مخطوط فحسب، بل تتعداه إلى الكشف عن السمات الخاصة للكلام والتصوف المغربيين في العصر الوسيط، إذ نشأت وتطوّرت في بيئة مغاربية متفاعلة مع المشرق، لكنها حافظت على خصوصياتها المنهجية والمذهبية. فالمدرسة المغربية – على قلّة الدراسات المخصّصة لها مقارنة بنظيراتها المشرقية – تمتاز بنزعة عقلية معتدلة، واهتمام بالغ بقضايا السلوك والتزكية إلى جانب القضايا النظرية المجرّدة. وتأتي رسالة "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله" نموذجاً صريحاً لهذه الخصائص، حيث يمزج فيها الوارجلاني بين علم الكلام وعلم الزهد والفلسفة الطبيعية، في نسق يؤكّد أن التفكير العقدي عند علماء إباضية المغرب لم يكن منفصلاً عن الهمّ السلوكي والتربوي. ومن ثمّ، فإن إخراج هذا التراث إلى النور يسهم في رسم صورة أكثر اكتمالاً للفكر الإسلامي بالمغرب الإسلامي، ويصحّح بعض التصورات المختزلة التي ترى في الكلام المغربي مجرد انعكاس أو تبعية للكلام المشرقي.

على الرغم من الأهمية العلمية لهذه الرسالة، إلا أنها لا تزال – حسبما ثبت من البحث والتحري – حبيسة المخطوطات، لم تطبع بعد، ولم تخرج إلى النور، وإن كانت بعض الدراسات الأكاديمية السابقة قد أشارت إليها أو أثبتت وجودها ضمن فهارس المخطوطات. وقد بذلت جهداً مستطاعاً في تتبع نسخها

المخطوطة، ووقفت على ست نسخ منها محفوظة في كل من غرداية وبني يزقن بالجزائر، تبين من خلال المقارنة بينها أن بعضها كامل وبعضها ناقص، وأن أقدمها يعود إلى القرن الثالث عشر الهجري تقريباً، وهو ما سأفصله في موضعه من هذه الدراسة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرسالة نلت بتحقيقها شهادة الليسانس في تخصص العقيدة ومقارنة الأديان، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)، سنة 2010، تحت إشراف الدكتور مصطفى بن ناصر وينتن، ومناقشة لجنة علمية مكونة من الأستاذين مصطفى باجو وصالح نعمان، ونالت الرسالة آنذاك قبول اللجنة وإجازتها. ولم يتم طباعة الرسالة بعد.

وتأتي هذه الدراسة لتقدم تعريفاً بهذه الرسالة، من خلال بيان نسبتها إلى مؤلفها، وتحليل مضمونها، واستقصاء مصادرها، والكشف عن قيمتها العلمية في سياق التراث الإباضي والمغاربي عامة. كما تهدف إلى إبراز الجوانب المعرفية التي تضمنتها الرسالة، والتي تثبت أن الوارجلاني لم يكن فقيهاً متكلماً فقط، بل كان مفكراً موسوعياً جمع بين علوم الشريعة والحكمة، وقدم رؤية متكاملة للإنسان والكون والخالق.

وقد بنيت هذه الدراسة على منهج وصفي تحليلي يقوم على:

أولاً: تتبع النسخ المخطوطة للرسالة ودراسة خصائصها مادياً وفنياً.

ثانياً: تحليل نصوص الرسالة واستخراج أبرز محاورها وقضاياها، وتصنيفها في حقول معرفية محددة (الزهد والسلوك، علم الكلام، الفلسفة).

ثالثاً: تتبع مصادر الوارجلاني في هذه الرسالة، وأهمها كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«رسائل إخوان الصفا».

وقد واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات والإشكالات، من أبرزها:

- ندرة الدراسات الأكاديمية السابقة التي تناولت هذه الرسالة بالتحليل، مما جعل الدراسة تعتمد في جانب كبير منها على النص الأصلي للرسالة.
- تباين حالات النسخ المخطوطة بين الكمال والنقص، وبين الوضوح والرداءة في الخط، مما استدعى مقارنة دقيقة بينها.
- وجود بعض القضايا العقدية والفكرية الحساسة في متن الرسالة، تطلبت معالجة موضوعية دون إثارة أو تجاوز.

أما خطة هذه الدراسة، فتتكون من تمهيد نستعرض فيه ذكر الوارجلاني في المصادر القديمة والدراسات الأكاديمية المعاصرة، يتضمن:

- التعريف بالشيخ أبي يعقوب الوارجلاني (نسبه، نشأته، حياته العلمية، رحلاته، آثاره).
- التعريف برسالة "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله" (نسبتها، عنوانها، مضمونها، مصادرها).
- وصف النسخ المخطوطة للرسالة وبيان منهج التحقيق.

وفي ختام الدراسة أبرز النتائج والتوصيات، وأذيلها بقائمة المصادر والمراجع وفهارس فنية.

2. التعريف بالعلامة أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني

لا تكاد تلفي ذكرا للوارجلاني في مصادر تاريخ المغرب إلا ما أوردته المصادر الإباضية[1]، وأقدم مصدر إباضي أورده هو الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب وكل ما أعقبه كان عالة عليه[2]. وتعرّفنا على العديد من المراجع الحديثة التي تناولت الوارجلاني بالدراسة سواء في شخصه أم في عصره وبيئته، أمثال عادل نويهض وعبد الرحمن الجيلالي وغيرهما ممن سبق ذكرهم، لكنّ طلبنا كان أشدّ إلحاحا على الدراسات الأكاديمية لما تكتنفه من التوسّع في المراجع والتوثيق في المعلومات.

1.2. أبو يعقوب الوارجلاني؛ نسبته ونشأته:

هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني، وجميع كتب السير تورده وتتفق في نسبته إلى وارجلان، حتّى أنّه يشتهر بلقب «الوارجلاني» أكثر من غيره، ربّما لما سبق إلى وصفه به الدرجيني بقوله:" كان له في كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس"[3] فذاع صيته لدى القاصي والدّاني وظهرت بصمته على كلّ العلوم والفنون، فصار له علما، مع ما زخرت به وارجلان في عصره من الأعلام.

ينسب الوارجلاني إلى سدراته إحدى حواضر وارجلان، وقد عاش وترعرع فيها، ونهل العلم من علماءها. أمّا اجتماع كتب السّير في نسبته إلى وارجلان دون سدراتة، فذلك لاشتهار وارجلان على الألسن ولدخول سدراتة ضمن حواضرها.

ج: مولده ووفاته: تتفق غالب المراجع الحديثة على أن الوارجلاني عاش الفترة بين السنتين: 500-570هـ نقلا عن أصحاب السير، فقد صنفه الدرجيني اعتبارا لسنة وفاته ضمن الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ/1155-1203م)[4]، أمّا تحديد سنة وفاته بـ570هـ فكان نقلا عن الشماخي[5]، ويبدو أن تاريخ مولده كان حزرا لعدم ثبوته في مصدر ما.

2.2. رحلاته:

اتفق المؤرّخون على أنّ للوارجلاني ثلاث رحلات مشهورة؛ وهي إلى الأندلس والمشرق والسودان، واختلفوا فيما عداها، وتباينوا كذلك في ترتيبها[6].

رحلته إلى الأندلس: هي الأولى على رأي أغلب المصادر، بحيث كانت في شبابه ونهل منها العلوم التي لم تتوفّر بوارجلان، حتّى بزّ فيها أقرانه، واشتهر بألقاب عدّة تنمّ عن مدى جدّيته وحدّة ذكائه، منها جاحظ

(1) مصطفى باجو، أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا، 103.

(2) المرجع نفسه. T adeuz Lewicki, Les histoiriens biographes et traditionnistes – wahbitesde, p89 ".

(3) الدرجيني، طبقات المشايخ، 2/491.

(4) الدرجيني، طبقات المشايخ، 2/4.

(5) الشماخي، سير، 445.

(6) يرى بوسعيد صالح أنّ الرحلة الأولى كانت صوب السودان، بينما يرى المستشرق ليفتسكي أنّ الرحلة الحجازية هي الأولى. انظر: صالح بوسعيد، دراسة وتحقيق الدليل والبرهان؛.Lewicki, Les Histoiriens, p89 Tadeuz.

المغرب، وشبّهه أستاذه بأبي حامد العامري، حتّى أنه نقل أنه درّس بها[1]، فكان له الأثر في ذلك على باقي حياته.

ثمّ إنّه حمل الفكر الإباضي إلى الأندلس فشُهد له بالأخلاق فوق العلم وفي هذا السياق أورد الشيخ أطفيش أن الوارجلاني التقى بزميل له من أهل سجلماسة وكان قد درس معه بالأندلس، فرأى الوارجلاني فوق البعير، فقال في الوارجلاني هذه الأبيات:

ما كنت أحسب أن الطود تحمله الـ عيس فيصبح بين الرحل والقتب
ما أنصفت جوهة من كان أوحدها علما وأكملها في العلم والأدب
إذ ضيقت حالها فيها وقد وسعت ذوي الجهالة والخطل في النسب[2].

رحلته إلى السودان: كان الوارجلاني يتطلّع في سفرته هذه إلى العديد من المقاصد، منها ربما إشباع الفضول المعرفي، والاطلاع على ثقافات أخرى من الأجناس وقد سجّل لنا سبقا له في هذه الرحلة ويتمثّل في وصوله لما يقرب خطّ الاستواء فيقول:"..وقد وصلت أنا بنفسي إلى قريب من خط الاستواء وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد أن يستوي الليل والنهار فيه أبدا، وإنما وصلنا إلى قريب منه. وأطول يوم في السنة إنما يفضل أقصر يوم منه بساعة واحدة، فالنهار الطويل ثلاث عشرة ساعة، والنهار القصير إحدى عشرة ساعة، ولياليها كذلك.."[3].

رحلته إلى المشرق: ترسم قصيد الوارجلاني الموسومة بالحجازيّة، تفاصيل رحلته بمراحلها ومزاياها ومسائلها ومثالبها، لتشكّل لنا خلاصة جمعت بين زجالة الألفاظ ورصانتها، وصدق العواطف وجياشتها، ودقة الوصف وعمق المعاني.

ومطلعها:

عذيري عذيري من ذوات المعاجر ذوات العيون النجل بيض المحاجر

ويُستنبط من القصيدة: تأخر تاريخ الرحلة عن سابقتيها، وكذلك رسمُ أهم محطاتها، وتحدّد مدةَ الذهاب كانت ستة أشهر، ووقوفهم على العديد من المواضع، والطباع المختلفة بين الأقوام، وتحفظ لنا مناظرة للوارجلاني مع أبي عمار عبد الكافي، ووصفا لمشاعر الحجاج وأشواقهم، وتسجّل لنا حادثة غرق مرافقي الوارجلاني عند العودة.

3.2. آثاره: وتطرقت فيها إلى مؤلفاته وتلامذته:

مؤلفاته: كان ذا قوة عجيبة في التأليف حتّى إن الدرجيني وصفه بأنّه:" كان إذا اعتمد تأليفا أو نسخ ديوانا لا يهوله ولا يستعظم فيه صعوبة ولا كثرة فإن له على ذلك قدرة " حتّى إنّه لم ينصرف من داره لمدّة

(1) لقاء مع د إبراهيم فخار، بقسنطينة1992/05/19، نقلا عن مصطفى باجو، 130.
(2) امحمد بن يوسف أطفيش، إن لم تعرف الإباضية، ص16.
(3) الوارجلاني، الدليل والبرهان، 3/216.

سبعة أعوام، وإن زاره أحد وجده إما ناسخا، أو مدرسا، أو مقابلا، أو باريا للأقلام، أو طابخا للحبر، مسفّرا للكتب، لا يعدل عن ذلك إلا لفريضة[1].

ومن مؤلفاته: الكثير مما طمسته أيدي الزمان سواء بإهمال أهل مذهبه، أو بمكر المناوئين. منها:[2]

- «تفسير القرآن الكريم»: ذكرت المصادر أنَّه يقع في سبعين جزءًا، رأى البرادي منه تفسير سورتي البقرة وآل عمران في حوالي سبعمائة ورقة.
- «القصيدة الحجازية» مطبوعة.
- «الدليل والبرهان لأهل العقول»: ومعظمه في أصول الدين وعلم الكلام، ولكنَّه في الحقيقة موسوعة مصغَّرة لمختلف الفنون: من كلام، وتاريخ، وفلسفة، ومنطق، ورياضيات، وعلوم، وأخبار... يقع في ثلاثة أجزاء، طبع أكثر من مرَّة، ثمّ حقَّقه الباحث صالح بوسعيد في رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، ولا يزال مرقونا.
- «العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف»: يقع أيضا في ثلاثة أجزاء، طبع بلا تحقيق، ثمَّ حقَّقه الشهيد الدكتور عمرو خليفة النامي، ولا يزال مرقونا. وقد أجرى عليه الباحث مصطفى بن صالح باجو دراسة أكاديمية في رسالة ماجستير، قارن فيها بين الوارجلاني في العدل والإنصاف والغزالي في المستصفى، وطبعت الدراسةَ وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.
- «مرج البحرين»: في علم المنطق، وهو في آخر كتاب الدليل والبرهان، شرحه الشيخ عبد العزيز الثميني في كتاب: «تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين» بصدد التحقيق.
- «ترتيب مسند الربيع بن حبيب»، معتمد الإباضية في الحديث، طبع عدَّة مرَّات.
- «رسالة في تراجم رجال المسند»: اعتبرت مفقودة، ثمَّ عثرت جمعية التراث على قسم منها مؤخَّراً بمكتبة آل يدَّر ببني يسجن.
- «فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب»: وهو مفقود، يقال إنَّ بعض أجزائه توجد في بعض خزائن ألمانيا، وذكر الشيخ أبو اليقظان عن المؤرّخ حسن حسني عبد الوهَّاب أنَّه رأى جزءاً منه في تركة المستشرق مونتسكيو!، ولعلَّه موتلانسكي.
- «أجوبة فقهية»: مخطوطة لو جمعت لكوَّنت مجلَّداً ضخما.
- «شرح سير محبوب بن الرحيل في تاريخ الإباضية بالمشرق»: وهو شرح مفقود.
- «ديوان شعر»: ضاع ولم يبق منه إلاَّ قصيدة في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل، مطبوعة مع الحجازية.
- «رسائل متنوِّعة»: جمع بعضها في الجزء الأخير من الدليل والبرهان (مط).

(1) الدرجيني: طبقات المشايخ، 2/492.

(2) معجم أعلام الإباضية، 4/1012.

وبقي العديد منها مخطوطا، وهي ذات أهمية لما تحمل جوانب غير مطروقة في فكر الوارجلاني:

- «منازل السفر إلى الله ومناهل أهله»: والتي هي بين أيدينا.
- «حديث النملة مع الكاغد الأبيض»(مخ).
- «جواب لأحد السائلين بشأن الوسوسة في الصلاة»: تشترك فيها الجوانب الفقهية بالفلسفية.

تلامذته: لم يحفظ لنا التاريخ من تلامذة الوارجلاني سوى اثنين فيما أوردته السير، وهما ابنه ورفيق ابنه، واسم ابنه هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يعقوب[1]، أما رفيق ابنه فهو أبو سليمان أيوب بن نوح[2].

3. التعريف برسالة: "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله"

رغم الأهمية التي تكتسيها هذه الرسالة على أصعدة عديدة تتجاوز حدود مؤلفها إلى دوائر الفكر الإسلامي والإنساني بمختلِف ميادين طرقها، إلا أنّها لا تزال حبيسةً لم تر النور، ولم تحقق وتخرج على رقّ منشور، وإن سبقت بعض أيادي الباحثين، إلى التنويه بها في دراساتهم، إلا أنّ جميعهم يثبت أنها لا تزال في عداد المخطوطات، وقد بذلت وسعي في التثبّت من ذلك، وبحكم يسر الاتصالات ولله المنة، فقد تمكنت من الوثوق بأنّ الرّسالة لا تزال مخطوطا، بل تلمست ندرة المعرفة بها وبنسبتها إلى الوارجلاني، ولولا ورود ذكرها ضمن فهارس المخطوطات، أو عند بعض تراجم المؤلّفات لتعذّر الوصول إليها.

1.3. نسبة الرسالة وعنوانها:

لم نجد فيما بحثنا مصدرا من مصادر الإباضية يثبت هذه الرسالة بهذا العنوان[3]، ومن باب أولى ألاّ نجد نسبةً لها إلى الوارجلاني ولا إلى غيره[4]، وربما هذه العلّة تطال أغلب تراث وارجلان للغارة التي وأدت الحضارة فيها من قبل ابن غانية الميورقي سنة 626هـ، ومع ذلك فقد تناقلتها العصور واستنسختها لأهميتها[5]، وإثباتنا نسبة الرسالة إلى الوارجلاني كان لمبرّرات من الضروري بيانها وهي:

أنّ الرسالة ثبتت نسبتها إلى الوارجلاني من قبل نساخها في كلّ نسخها المخطوطة، وأحدهم ثبت أنه الشيخ عبد العزيز الثميني[6]، ولم نقف على منكر لهذه النّسبة، فكان ذلك صحيحا مالم يثبت غيره.

---

(1) الدرجيني، طبقات المشايخ، 2/492.

(2) الدرجيني، طبقات المشايخ، 2/493.

(3) وقد طال بحثنا هذا كثيرا من مصادر الإباضية منها في العقيدة والأخلاق وعلم الكلام والفلسفة والسير، ولم نجد عند علماء الإباضية ممّن سألنا معرفة سابقة لها وبفحواها، إلا بعض الباحثين ممن مرّت عليه خلال جرد نسخها المخطوطة أو الباحث مصطفى باجو باستفادته منها خلال رسالة الماجستير.

(4) ومن الجدير بالذكر أن أغلب من ترجموا للوارجلاني يثبتون له رسائل الجزء الثالث من كتابه الدليل والبرهان، دون إشارة إلى أنها ليست هي كلّ ما بقي له من الرسائل، وقد كشفنا في مجموعة هذه الرسالة فقط، ثلاث رسائل غير هذه المحققة لا تزال في عداد المخطوطات.

(5) يدل على ذلك اختلاف عصور النساخ لهذه الرسالة.

(6) عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد الله بن عبد العزيز، الثميني: الملقَّب بـ«ضياء الدين» (و: 1130هـ/1718م ت: السبت 11 رجب 1223هـ/1808م) علم من أعظم أعلام الإباضية، من بني يسجن بميزاب، نبغ في علوم اللغة العربيَّة والشريعة والمنطق وغيرها له من المؤلفات:

أثبتها الباحث مصطفى باجو في دراسته الأكاديمية[1]، بعد بحث مستوف عن الوارجلاني.

زيادة على ما سبق وردت قرائن أسلوبية في الرسالة لا تخفى على من اعتاد أسلوب المؤلف منها:

مشاكلة أسلوب تأليف هذه الرسالة لنسق المؤلفات التي ثبتت نسبتها إلى الوارجلاني كالعدل والإنصاف والدليل والبرهان على الأشهر، ولا ومن أبرز خصائص أسلوبه الحزم مع المقصود في الخطاب:

المعاتبة مع الملاطفة؛ ومنها ما ورد في العديد من المناسبات نسوق منها على سبيل المثال قوله:" واعلم يا أخي أنّك أهملت عمرك في الدّنيا، وعطّلت نفسك.."

السلاسة ومجانبة التكلّف في انتقاء المفردات وصياغة التراكيب، وهذا ما أضفى على أسلوبه طابعا انسيابيا، لا يعترض القارئ بغرابة ألفاظه ولا بتشنّج معانيه، وربما ذلك لتأثّره بأسلوب القرآن.

اختلاف النساخ في إثبات نهاية وبداية الرسالة:

من الاختلاف البارز بين النسخ اختلاف أصحابها في إثبات حجم الرسالة؛ فمنهم[2] من أثبت النسخة ضمن الجواب الذي ردّه الوارجلاني عن سؤال يتعلق بوسوسة الشيطان في الصلاة وسمّاها بعنوان هذه الرسالة، مع أنّها مجموعة رسائل مختلفة المضمون، ولكلٍّ منها بدايةٌ تستقلّ بعنوان يفصلها عمّا سبقها.

وربما مبرّرهم في ذلك أنّ هدفهم كان جمع رسائل الوارجلاني في مجموعة يتيسّر على الأجيال الحصول عليها، أو لأنّ اقتراب الموضوعات بينها دفعهم إلى ذلك والله أعلم.

والفريق الثاني[3] من النساخ أثبت الرسالة من بدايتها ولكن وقف عند الفصل الأول من فصول الرسالة، ورأى بذلك أنّ الفصول الباقية تستقلّ عن الفصل الأول، والتحقيق يبين غير ذلك فالموضوع المطروق في الفصول التالية ما هي إلا بيان وتمثيل للمنازل المذكورة في الفصل الأول، وأكبر دليل ألزمنا هو أنّ هنالك إحالات فيما بقي من الفصول تربط أفكاره بما سبق في الفصل الأول.

وربما قد يستساغ ما ذهبوا إليه إذا ما نظرنا إلى إيجاز الفصل الأول مقارنة بالإطناب الفلسفي خلال الفصول اللاحقة، لولا أنّ الأمانة العلمية تقتضي عرض عمل المؤلّف وفق ما أرادها.

و يتبيّن مما سبق أننا أثبتنا الرسالة كاملة دون غيرها من رسائل المجموعة، على اعتبار الفحوى.

2.3. مضمون الرسالة:

كانت هذه الرسالة صورة موجزة عن العلوم المتنوعة خلال عصر الوارجلاني، لذا أنتجت العقلية الموسوعية لدى الوارجلاني قوّةً في الجمع بين العلوم في نسق محكم وبديع. وأكّد هنا على حقيقة غابت

«أرجوزة في الفلك ومنازل البروج» (مخ)، «الأسرار النورانيَّة» مختصر شرح رائيَّة أبي نصر في الصلاة (مخ)، «التاج على المنهاج»، في ستَّة وعشرين جزءًا، «تعاظم الموجين، شرح مرج البحرين»، «كتاب النيل وشفاء العليل» وغيرها. انظر: معجم أعلام الإباضية، رت: 555.

(1) باجو، أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا: 163.

(2) هم أصحاب النسخ: أ، س، ع.

(3) هم أصحاب النسخ: ب، ج، د.

عند الكثير من المتقدّمين والمتأخّرين؛ وهي ضرورة التكامل بين العقيدة والمعرفة والسلوك، ونحاول هنا تقسيم مجالات الرسالة مع إدراج أهم الإشكالات الواردة فيها:

علم الزهد والسلوك:

- منازل السفر إلى الله تعالى مع مناهلها. وقد نوّع الذكر بين المناهل والمنازل والطبقات ويظهر أن لها مدلولا واحدا، ويختم بقوله:" فالطّبقةُ الأُولى هُمُ المؤمنونَ المسلمونَ، والطبقةُ الثَّانيةُ المسلمونَ الصّالحونَ، والطّبقةُ الثّالثةُ الصّالحونَ المتَّقونَ، والطَّبقةُ الرَّابعةُ المتَّقونَ الموقنونَ، والطَّبقةُ الخامسةُ الموقنونَ العارفونَ".
- يضمّن هذه المنازل محدّدات وضوابط سلوكيّة وعقديّة، وهي من التعاليم الشرعية عموما.

ونوه ببعض المزايا التي يتحلّى بها أهل الدّعوة عن غيرهم مثال ذلك في قوله: " اعلم أنّ هذه المرتبةَ هي مرتبةُ عامّةِ البرّانيين من أهل الدعوة، فاتت بها أهلُ الدّعوةِ سائرَ الأفْراق، وذلك بِحَمْد الله تعالى بِأُمُورٍ" ثمّ يعدّدها وفي كلّ ذلك يربط بين السلوك والمعتقد.

- يجعل أعلى مقام لأهل الدّعوة هو مقام العارفين بالله وذلك لمن " انقَطعَ إِلَى الله عزَّ وجلَّ، واستَوْحشَ مِنَ المخلوقينَ، فغلبَ علَى قلْبِهِ ذكرُ اللهِ والمؤانسةُ بِهِ دون خلقِه"
- يقرّ بمقام الأولياء عند الله وما يفتح الله عليهم من الكرامات ولا يرى بينهم وبين الأنبياء فرقا إلا:" أنّ صنيعَ اللهِ عزَّ وجلَّ للأنبياءِ يُسمَّى المعجزاتِ، وصنيعُ اللهِ عزَّ وجلَّ لهم يسمَّى الكراماتِ". بل ويذهب أبعد من ذلك بعد ذكره لأقطاب مشايخ الدعوة فيرفعه فوق الأنبياء بقوله: "ومَا سَمِعْنَا عن نبيٍّ أنَّه أُعْطِيَ ما أُعْطِيَ سَال"، ثمّ تجاوز إلى إثبات علم الغيب له إذ:" كُلُّ من وقعتْ عليه عينُه ممّن لم يرهُ قَطُّ عرَفه، وعرَفَ اسمَهُ، وعرَف ما عمِلَ مِنَ الخَير والشّر، ومَنْ كان من أهل الجنَّة وبما صار به إليها، وأهلِ النّار وبما صار به إليها" وليس هو فقط، بل "وأمثالهم كثيرٌ"[1].

علم الكلام:

- بيّن محدّدات المنزل الأول، والتي إذا توفّرت في المسلم فهو من المؤمنين وإن فرّط في ارتكاب الكبائر وهي: " الاعتقاد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، استعمال الصلوات، السلامة من الإصرار على الذنوب ومن بدعة تقليد الآباء والأمهات دون علم وبينة ".
- محددات المنزل الثاني: الاعتقاد بخلود أهل الكبائر في النار هي: شفاعة الحب في الله والبغض في الله الحب للمعروف والكراهية للمنكر، فرض الوصية وجعلها من قواعد الدين، الفزع إلى التوبة والندامة على ما سلف، الإيمان الظني المجاوز للشكوك، السلامة من الفتن والبلايا الاشتغال بالمعاش، الاعتياد على الأسفار.

(1) وينبغي لفهم أبعاد هذا الكلام الرجوع إلى قصة موسى مع الخضر في الدليل والبرهان، 3/228.

ومن أهم منح الله لهم: ظهور الكرامات فيهم، تكفير المصائب لذنوبهم، شفاعة المصطفى لهم، عفو الله الأعظم.

- محددات المنهل الثالث: طلب العلم، ورسوخ الاعتقاد بالأدلة الواضحة، ومجانبة المعاصي.

وحفظ عامة الفرائض، والانقطاع لطلب العلم.

وأصحاب هذا المنزل هم الطلبة والعزابة.

محددات المنهل الرابع: الورع واتقاء الشبهات، حمل النفي على العبادات ما يقصر عنه الشباب.

ومنح الله تعالى لهم: ظهور الكرامات، وحصول الاستجابات، والفضائل والعلامات والوسائل والبركات.

- محددات المنهل الخامس: الانقطاع إلى الله والاستوحاش من المخلوقين، غلبة ذكر الله والمؤانسة به دون خلقه، والعجب بأفعاله والرضى به.

الفكر:

- علم الفقه: لا يصلح للدنيا ولا للآخرة، أما علم الكلام فيصلح للدنيا فقط.
- اطلاق مصطلح الفقه على المسائل الطفولية (الفرعية)، ثم اعتبارها من أصول الدّين مغالطة فكرية يقع فيها الكثير من الفقهاء.
- يعتبر المهمل للعلوم المنجيات والمعطل عمره وعمر غيره بالإغراق في الجزئيات من دلائل الخيبة والخسران.
- من الموانع لأعظم المنازل عند الله؛ شغل النفس بمدارسة كتب الكلام والردود التي تلهي النفس عن ذكر الله وعن التفكر في خلقه.
- انحراف استعمال الكلام إلى خارج الموحّدة هو أشدّ ما ينعيه الوارجلاني على المتكلمين؛ لما فيه من تكرار الفحش الذي يتلفظ به الدّهرية في الباري تعالى، وهو أمارة على الزيغ في إدراك روح الدين.

الفلسفة:

- حقيقة علم الجبروت؛ وعرفه بأنه حقيقة ما الكرسي من العجائب.
- كيفية اعتبار الإنسان بأحوال الفلك.
- مماثلة تركيب جسد الإنسان بتركيب الأفلاك.
- مماثلة تركيب جسد الإنسان للأركان الأربعة.
- قوى الإنسان.

3.3. مصادر الرسالة:

تعددت مصادر الرسالة بتعدد علومها، وقد استطاع الوارجلاني بموسوعيته أن يطّلع على آخر ما دوّن في عصره، ويثري به كتاباته، وكان الوارجلاني يعزو إلى المصادر في أغلب المناسبات وبالخصوص ما

المصادر التي من خارج المذهب، وأمّا التزام اللّفظ عند النّقل عن هذه المصادر ففي الرسالة ما يتوافق حرفيّا مع المصدر المنقول منه، وغالب الصّياغة في الرسالة ترجع إلى المؤلّف.

وقد نوّع المؤلّف في رسالته بين المصادر الإباضية وغير الإباضيّة. فكان يرى أنّ الحقّ شريط عريض يسع مذاهب المسلمين، وليس خطا رفيعا ينحصر في نحلته، لذلك تجده لا يتحفّظ أن ينقد ما يراه من الغلط وإن كان في مذهبه، وينتقي من المصيب وإن كان مخالفا.

وأهم مصادره القرآن الكريم، وكان يعتمد عليه اعتمادا محوريا شأن المدرسة الإباضية في اعتبار المحكم من القرآن وعرض المتشابه عليه.

وأما مصدره في الحديث فلم يكن يتوقف على ما ورد في مسند الربيع بن حبيب بل كان يروي مما هو مبثوث في كتب السنة ما توفر فيها شرط القبول عند منهجه في عدم مخالفة الصريح والمحكم من النقل.

ومن أهم المصادر في هذه الرسالة كتاب إحياء علوم الدين في مناقشته للعلوم التي تذمّ لما جرّت على أصحابها من الانحراف في الفكر والواقع.

ومن أهم المصادر التي اعتمدها كذلك رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء وهي رسائل فلسفيّة اختلف في هويّة كتابها، واتُّفق في أنها كتبت بين نهاية الخلافة الأموية بالمشرق وبداية الخلافة العباسية، وفيها علوم شتّى من الجبر والهندسة وغيرها. وقد استفاد الوارجلاني من هذه الرسائل ولخّصها أحيانا، وأحيانا نقل عنها.

4. وصف النسخ وبيان منهج التحقيق

انطلقت مسيرة البحث عن النسخ المخطوطة من خلال ذكرها في رسالة الماجستير لمصطفى باجو، وكان ذلك قبل سنتين، وبدأ اهتمامي بها، لكنّ المباشرة الفعلية كانت هذه السنة، فاتّصلت بجمعية التراث بغرداية، فألفيت لديها فهارس كل مكتبات ميزاب منضودة مرقونة، ومن ثم وجدت النسخ بين بمكتبات بني يزقن وغرداية، أجريت اتصالات ومساعي للبحث عن نسخ خارج الوطن كعمان وتونس وغيرها ولم يسفر البحث عن أي نتيجة، ولمّا رأيت أنّ النسخ المحصّلة كفيلة باستكمال التحقيق، وأنّ هذا العمل غير مطروق من ذي قبل، حزمت أمري وبدأت في وصف النسخ والمقارنة بينها وفق منهج التحقيق الذي سيتم بيانه في ما يلي.

1.4. وصف النسخ:

عدد النسخ التي قابلت بينها ست نسخ، ونأتي الآن لتوصيفها وبيان وضعياتها مرموزة بحروفها:

النسخة: أ:

من مكتبة الاستقامة ببني يزقن بغرداية. وهي موجود ضمن مجموعة رسائل، وناسخها الشيخ عبد العزيز الثميني كما أكّد لي ذلك الأستاذ يحي بوراس[1]، وخطّه مغربي، صعب القراءة والفهم. وأما عن تاريخ النسخ فمجهول.

وقد حدّد الناسخ العناوين بلون مغاير، ولم يعلق أو يصحح في الهامش إلا لماما.

وقد نالت منها الأرضة في كل أوراقها بخروم قدر نقط القلم، مما عسّر التفرقة بين النقاط والخروم.

النسخة كاملة، وعدد صفحاتها اثنا عشرة صفحة، مرقمة من 198 إلى 209، وعدد الأسطر في الصفحة: 39 سطرا.

تبدأ النسخة بـ" « منازل السفر إلى الله ومناهل أهله: اعلم أنّ السّفر إلى الله سبحانه وتعالى خمسُ منازلَ، ولكلّ منزلٍ منهلٌ، وأهله على خمسِ طبقاتٍ».

وقد ورد سند النَّاسخ إلى مؤلفها في ختام الرسالة بقوله:" انتهى ما وجد بخط قال كاتبه: « انتهى ما وجد في الأم بخط نقل من خط الإمام الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشمّاخي ﵀ ومؤلف الرسالة هو الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني ﵀ ورضي عنه وأرضاه وغفر لنا وله ولجميع المسلمين والمسلمات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ».

النسخة: ع.

وجدتها بمكتبة الأستاذ الحاج اسعيد محمد بغرداية مصنفة تحت رقم: 271، دون غلاف وهي الثالثة عقب رسالتين للوارجلاني أولاهما جواب حول وسوسة الشيطان في الصلاة، والثانية "حديث النملة مع الكاغد الأبيض"، وقد حسب مصنفوا المخطوطات بجمعية أبي إسحاق اطفيش هذه الرسائل الثلاث رسالة واحدة فوضعوها تحت عنوان:"جواب حول النفس الإنسانية". وتليها فائدة مما وجد بخط الشيخ أحمد الشماخي عن النفس الإنسانية.

ناسخها صالح بن محمد بن سليمان اليسجني (أوائل ق 14 هـ). نقل الناسخ من نسخة بخط الشيخ عامر بن علي الشماخي والذي نسب الجواب للوارجلاني ظنيا

بها: 4 قطع ونصف؛ أي 9صفحات، تبدأ من: [11و إلى19و] بكل قطعة: 21سطرا، مقاساتها 32×16,8، وهي كاملة.

نوع الخط مغربي مقروء، لونه أسود عناوينه بالقرمزي.

تبدأ الرسالة بقوله: « منازل السفر إلى الله ومناهل أهله: اعلم أنّ السّفر إلى الله سبحانه وتعالى خمسُ منازلَ، ولكلّ منزلٍ منهلٌ، وأهله على خمسِ طبقاتٍ».

(1) أستاذ وباحث، في التراث، وناشط في جمعيات التراث بوادي ميزاب.

وتنتهي بقوله: « انتهى ما وجد في الأم بخط الإمام الشيخ عامر بن علي الشمّاخي ﵀ وأظنه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي ﵀ ورضي عنه وجعل الجنة مأواه آمين ».

النسخة: س.

صورتها من مكتبة الأستاذ الحاج اسعيد محمد[1]، وهي في الأصل من مكتبة آل يدر ببني يزقن غرداية مصنفة تحت رقم: 493، وهي الثالثة عقب رسالتين للوارجلاني أولاهما جواب حول وسوسة الشيطان في الصلاة، والثانية حديث النملة مع الكاغد الأبيض، وقد حسب مصنفوها أنها والرسائل الثلاث السابقة رسالة واحدة فوضعوها تحت عنوان:"رسالة لأبي بعقوب الورجلاني إلى بعض الأصحاب ".وهو الشيء نفسه ما حصل مع النسخة: ع. وتليها فائدة مما وجد بخط الشيخ أحمد الشماخي عن النفس الإنسانية.

ناسخها مجهول.حزر: 1264هـ نقل الناسخ من نسخة بخط الشيخ عامر بن علي الشماخي[2] والذي نسب الجواب للوارجلاني ظنيا.

بها: 4 قطع ونصف؛ أي 9صفحات، تبدأ من: [13و إلى21و] بكل قطعة: 21سطرا، مقاساتها 220×160سم، وهي كاملة.

نوع الخط مغربي واضح ومقروء، لونه أسود عناوين فصوله بالأحمر وتصحيحاته كذلك. هي نسخة محققة ومقابلة على نسخ أخرى سواء من ناسخها أو من أحد المصححين، وفيها الكثير من التصحيحات في هامشها، وتكميل للسّقط، ويظهر الاعتناء بها من قبل مصححها.

تبدأ الرسالة بقوله: « منازل السفر إلى الله ومناهل أهله: اعلم أنّ السّفر إلى الله سبحانه وتعالى خمسُ منازلَ، ولكلّ منزلٍ منهلٌ، وأهله على خمسِ طبقاتٍ».

وتختتم بإيراد سند النسخة إلى مؤلفها وهو سند [النسخة: ع] نفسه: « انتهى ما وجد في الأم بخط الإمام الشيخ عامر بن علي الشمّاخي ﵀ وأظنه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي ﵀ ». [55/ك40][آ4/52].

النسخة: ب.

من مكتبة الاستقامة ببني يزقن غرداية،[3].

وجدتها في الخزانة: 2 رقم: 132، دون غلاف، رقم الجرد: 90، وهي ضمن مجموع. مرقمة [من20ظ إلى 22ظ]

ناسخها مجهول.

بها: قطعتان ونصف؛ أي 5صفحات، تبدأ من: [20ظ إلى22ظ] بكل قطعة: 21سطرا.

(1) أستاذ مهتم وباحث في التراث، يملك مكتبة مخطوطات ثرية ومفهرسة.

(2) الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشمَّاخي صاحب متن الديانات، والإيضاح (ت: 792هـ/1389م).

(3) وقيّمها الأستاذ سليمان بكّاي.

مقاساتها: 32×16,8، وهي ناقصة.

نوع الخط مغربي مقروء، لونه قرمزي.

تبدأ الرسالة بقوله: « بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله. ومن جواب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني ﵀ ما نصه منازل السفر إلى الله تعالى ومناهل أهله..».

وتنتهي بقوله:" والطبقة الخامسة الموقنون العارفون. تم الفصل بحمد الله وحسن عونه ».

النسخة: د.

من مكتبة الاستقامة ببني يزقن غرداية.

وجدتها في الخزانة: 2 رقم: 74، دون غلاف، رقم الجرد: 89، وهي ضمن مجموع.

ناسخها مجهول.

بها: قطعتان ونصف؛ أي 5صفحات، تبدأ من: [2ظ إلى3ظ] بكل قطعة: 22سطرا.

مقاساتها: 32×16,8، وهي ناقصة.

نوع الخط مغربي مقروء، لونه قرمزي.

وقبلها: قصيدة رثاء للشيخ أبي عمران موسى بن عامر النفوسي[1] ﵀ في شيخه الفقيه أبي يوسف يعقوب بن أحمد الجندوبي النفوسي ﵀ مطلعها:

من رسم دار أفقرت بعد أهلها عيونك غرب أو فريد مقطع.

ويليها: نقل من كتاب المعرفة في أسرار كلمة الشهادة للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد رحمة الله عليه

بها: قطعتان ونصف؛ أي 5صفحات، تبدأ من: [13ظ إلى3و] بكل قطعة: 21سطرا، مقاساتها 32×16,8، وهي ناقصة.

نوع الخط مغربي مقروء، لونه أسود.

تبدأ الرسالة بقوله: « الحمد لله وحده. ومن جواب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني ﵀ ما نصه منازل السفر إلى الله عز وجل ومناهل أهله..».

وتنتهي بقوله: « والطبقة الخامسة الموقنون العارفون. تم الفصل بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد ».

النسخة: ج.

صورتها من مكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش بغرداية.

ناسخها مجهول.

(1) من علماء نفوسة بليبيا صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة.

قبلها: أجوبة في مسائل التوحيد

وبعدها: كتاب " أحكام الدماء".

بها: قطعة ونصف؛ أي 3صفحات، تبدأ من: [1ظ إلى2و] بكل قطعة: 27سطرا، مقاساتها 32×16,8، وهي ناقصة.

نوع الخط مغربي رديء، لونه أسود عناوينه بالمقرزي.

تبدأ الرسالة بقوله: « ومن جواب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ﷺ ما نصه منازل السفر إلى الله عز وجل ومناهل أهله..».

وتنتهي بقوله: « والطبقة الخامسة الموقنون العارفون. تم الجواب بحمد الله وحسن عونه والسلام ».

2.4. مقارنة النسخ والترتيب بينها:

ما تقدم من النسخ يمكن ترتيبه من حيث الأولوية والأهمية وفق مقاييس التحقيق العلمي، للوصول إلى الهدف المتوخّى من ذلك؛ وهو إخراج النص على الصورة التي كتبها مؤلفه أو أقرب منه، وبما أننا تعوزنا كلّ نسخة كتبها المؤلّف أو عرضت عليه، فإننا سنبحث بعد ذلك عن أكمل النسخ، ثم أقدمها، وأقربها إلى عصر المؤلّف، ثم حالة النسخ من حيث الوضوح والسلامة من الأخطاء، ويليها التعرّف على النّاسخ وأهليته، ثم البحث عن الأصل الذي أخذت منه النسخة.

- من حيث الكمال: النسختان: (س) و(ع) كاملة في مرتبة واحدة، ثم النسخة: (أ) لبعض الخروم الدقيقة فيها بحجم نقاط. ثمّ النسخ: (ب) و(ج) و(د) وكلها ناقصة.
- من حيث القدم: النسختان: (س) و(ع) أُثبت عليهما السند إلى الشيخ عامر بن علي الشمَّاخي. والواسطة إليه رجل واحد، أما النسخة: (أ) ففي سندها رجلان، أمّا النسخ المتبقية فلا سند فيها. ومنه فالنسخ (س) و(ع) هما الأوليان في الترتيب ثم تلي النسخة (أ)، ثم النسخ المتبقية.
- من حيث الناسخ: ففي طليعة النسخ: النسخة(أ) لأنّ ناسخها الشيخ عبد العزيز الثميني لما لصاحبها من علو كعب في العلم ورسوخ قدم في الدين، ثم تليها النسخة (س) لصاحبها ناسخها صالح بن محمد بن سليمان اليسجني (أوائل ق 14 ه)، ثم النسخ المتبقية مع تفاوت في مستوى ناسخيها.
- من حيث الوضوح والسلامة من الأخطاء فالنسخة: (أ) خُطّت بيد الشيخ الثميني ﷺ وخطّه يعتوره غموض كبير، وكذلك في النسخة اخترام كثير، أما النسخة: (س) فمن حسنات تأخّر زمنها أنها قوبلت من قبل ناسخها على نسخ أخرى وحقّق الكثير من الخلاف مما ورد في غيرها. وكذا كان خطها واضحا. أما النسخة (ع) فمع وضوح خطها فإنها تعتورها أخطاء جليّة في النحو والإملاء ما يعكس مستوى ناسخها. ثم تلي النسختان(ب) و(د) فتتساويان في الوضوح والسلامة من الأخطاء. أما أخيرا فترتب النسخة(ج) لغموض بائن في خطها. فالترتيب إذا كالآتي: (س)(أ)(ع)(ب)(د)(ج).

ومنه فالترتيب العام كالآتي: النسخة: (س) هي الأصلية التي تقابل عليها النسخ لكمالها ووضوحها وسلامتها، ثم النسخة: (أ) لكمالها وسلامتها ولاعتبار ناسخها، ثم النسخة: (ع) لكمالها ووضوحها، ثم النسختان: (ب) و(د) لوضوحهما، وأخيرا النسخة: (ج).

3.4. منهج التحقيق:

لم يكن المنهج الذي يضبط عملنا في تحقيق النّص تسليما لمدرسة خاصّة والتزاما كاملا، بل حاولنا الالتزام بمدرسة معينة من حيث الغايات والأصول، أما الجزئيات فتبقى اختيارا لصاحب المدرسة ويكون فيها مندوحة بين المحققين، شريطة أن يصرحوا بها في مقدماتهم ثمّ يلتزموا بها طيلة بحثهم.

وأما المنهج المعتمد لدينا فهو منهج المدرسة الرّمضانية؛ والتي تقتضي الاستقصاء خدمةً للقارئ والمؤلَّف، بجميع الوسائل كعزو المعلومات إلى مضانها، وفك الغموض في الأفكار، واعتبار حيثيات عصر مؤلِّفه، والتزام أمانة الأداء في حفظ حقوقه.

وعملنا في هذا البحث يتمثّل في:

- اعتماد النسخة (س) في إثبات النص لاعتبارها أصلا للمقابلة.
- عرض النسخ الخمس الأخرى على النسخة الأصل (س)، وأثبتنا في المتن ما ترجّح لدينا نسبته إلى المؤلِّف، سواء من النسخة الأصلية أو من النسخ الأخرى، ومردّنا في ذلك إلى اعتبار لمستوى المؤلّف بالاطلاع على أسلوبه في كتاباته، واعتبارات اللغة والسياق والدلالات وغيرها مما يسوّغه المقام، ويحفظ من اللحن في اللغة، ويرفع الإبهام والتناقض في المعنى، وأمّا ما عدا ذلك من الاختلافات الواردة بين النسخ فكان مآلها الهامش، ليبقى للقارئ سعة في الاختيار والترجيح.
- ما لم نثبته في الهامش من اختلاف بين النّسخ كان يرجع إلى اعتبارات عديدة منها: - ما شاع من الأخطاء التي تنم عن ضعف مستوى ناسخها وهي النسخة (ع)، إلى حدّ انتقاض البائن من القواعد الإملائية والنحوية، مثال ذلك ما كان في نسخة (ع). – ما كثر من اختلاف في رسم بعض الأحرف كالألف بين المقصورة والممدودة، وإثبات للهمزة في عصا الألف أو حذفها..أو ما شاكل ذلك.
- أثبتنا بداية الصفحات ونهايتها بالرمز إليها حسب النسخة (س) لكونها الأصل، بخلاف النسخ الباقية، وذلك عند ابتداء وجه كلّ نسخة أو ظهرها على النسق الآتي:/و1/،/ظ1/.....
- ما كان بين المعقوفين فهو مما لم أثبتناه من خارج النسخة (س) ممّا رجّحناه في السّياق، وأشرنا إلى هذه النسخ المضاف منها في الهامش.
- أحلنا في الهامش لما أضفنا من العناوين إلى نص المؤلّف عند ابتداء الفصول مما لم يرد في النسخ.
- قمنا بالرجوع إلى مختلف المصادر لتوثيق ما كان في مقدورنا لتحقيق مضمون الرسالة:

- بخصوص الآيات القرآنية فأثبتناها برواية حفص عن عاصم رغم كون رواية المؤلف هي ورش عن نافع لتوفر مصحف المدينة مع عدم وجود خلاف يتطلب لزوم رواية ورش، مع تحديد رقم الآية والسورة بين المعقوفين، وأتممنا في الهامش ما اقتطع من الآيات حتى يُرجع إليها في سياقها.
- خرّجنا الأحاديث من مصادرها، ولم نستقصها كلها، بل إثبات سندها إلى رسول الله ﷺ، ومصدر ورودها عند أصحابها. وما ذكر المؤلّف مصدره ولم نجده فيه خرجناه من غيره.
- حاولنا استقصاء المراجع التي نهل منها المؤلّف، مما صرّح به في نصّه، وما لم يصرّح به ممّا يتعلّق بالمجالات التي تناولتها الرسالة، بالإشارة إلى الفصول العناوين التي تلتاط بها.
- التزمنا في الهامش ذكر كل المعلومات عند أول إيراد للمصدر والمرجع.
- عرّفنا في الهامش الأعلام المذكورين في النص والأقوام، وحاولنا توصيف ما لم يصرّح باسمه حسب السياق، وعرّفنا كذلك المصطلحات التي وردت حسب خصوصيتها بحكم انتماء المؤلّف وثقافته.
- وضعنا الفهارس والتي هي المفاتيح للولوج إلى البحث، وفيها: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس البلدان، ثم الفهرس العام.
- حاولنا أن نعرب أواخر كلمات النّص التي قد تشكل على القارئ، وحاولنا ضبط النّص بعلامات الترقيم.

5. خاتمة

هذا ما تيسر من عمل في التعريف برسالة "منازل السفر إلى الله ومناهل أهله" للوارجلاني. لعل هذه الدراسة المتواضعة تكون نواة لتحقيق كامل للرسالة، أو فاتحة لاهتمام أوسع بتراث الوارجلاني وتراث علماء المغرب العربي عامة. ويمكن أن نستعرض أهم النتائج فيما يلي:

أولاً: النتائج المتعلقة بالمؤلف والرسالة

- تأكيد نسبة الرسالة إلى الوارجلاني: أثبتت الدراسة – من خلال القرائن الأسلوبية، وإثباتات النساخ، وشهادات الباحثين المعاصرين – أن الرسالة تنسب بثقة إلى الشيخ أبي يعقوب الوارجلاني، وأن الاختلافات التي وقعت بين النساخ في عنوانها وحجمها لا تطعن في نسبتها، بل تعكس اختلاف منهجهم في التصنيف والتجميع.
- الموسوعية المعرفية للوارجلاني: تجلت في هذه الرسالة بوضوح قدرة الوارجلاني على المزاوجة بين علوم متعددة (الزهد والسلوك، علم الكلام، الفلسفة الطبيعية، الفقه، أصول الدين)، مما يثبت أنه لم يكن فقيهاً متكلماً فقط، بل مفكراً موسوعياً جمع بين علوم الشريعة والحكمة.
- أصالة الكلام المغربي: كشفت الرسالة عن سمات خاصة للكلام المغربي في العصر الوسيط، تمثلت في الاعتدال المنهجي، والتكامل بين العلوم، والاهتمام بالواقع والمجتمع، والأصالة مع

الانفتاح على المصادر الخارجية. وهذا يدعو إلى تجاوز النظرة المختزلة التي ترى في الكلام المغربي مجرد تابع للكلام المشرقي.

- تنوع مصادر الوارجلاني: اعتمد الوارجلاني في رسالته على مصادر متنوعة، أبرزها القرآن الكريم والحديث النبوي، وكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«رسائل إخوان الصفا». وهذا يؤكد انفتاحه على الفكر الإسلامي خارج مدرسته الإباضية، مع احتفاظه بأصول عقيدته ومنهجه النقدي في التعامل مع هذه المصادر.
- مركزية السلوك في فكر الوارجلاني: لم يكن علم الكلام عند الوارجلاني غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتحقيق مقصد أسمى وهو الوصول إلى الله تعالى. وقد تجلى ذلك في تقسيمه للسالكين إلى خمس طبقات (المؤمنون المسلمون، المسلمون الصالحون، الصالحون المتقون، المتقون الموقنون، الموقنون العارفون)، وجعله للطبقة الخامسة (العارفون) أعلى المراتب.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالنسخ المخطوطة

- تنوع النسخ وتفاوت حالاتها: وقفت الدراسة على ست نسخ مخطوطة للرسالة، منها ثلاث كاملة (أ، ع، س) وثلاث ناقصة (ب، د، ج). وتفاوتت هذه النسخ من حيث جودة الخط، ودقة الضبط، وتاريخ النسخ.
- أهمية النسخة (س) للتحقيق: تبين أن النسخة (س) هي الأكثر عناية من حيث الضبط والتصحيح والمقابلة، مما يجعلها الأصل المعتمد في التحقيق. كما أن النسخة (ع) تؤيدها وتفيد في مواضع الاختلاف، والنسخة (أ) مهمة لما تحويه من سند كامل إلى المؤلف.
- إشكالات في عنوان الرسالة وحجمها: أظهرت الدراسة أن هناك اختلافاً بين النساخ في تحديد عنوان الرسالة وحجمها، فبعضهم أدمجها مع رسائل أخرى للوارجلاني، وبعضهم أوقفها عند الفصل الأول، بينما يثبت التحقيق أنها رسالة مستقلة تمتد لعدة فصول مترابطة.
- نواقص في المخطوطات: أظهرت الدراسة أن النسخ الناقصة (ب، د، ج) تعاني من فقدان أجزاء من الرسالة، مما جعلها غير صالحة للاعتماد عليها كأصل للتحقيق، ولكن يمكن الاستئناس بها في بعض المواضع.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالمضمون

- تحديد منازل السفر إلى الله: حدد الوارجلاني خمس منازل للسير إلى الله تعالى، مرتبطة بخمس طبقات من السالكين، ووضع لكل منزل محددات سلوكية وعقدية، ولأهله منحاً إلهية وكرامات.
- نقد الانشغال بالفقه الجزئي: انتقد الوارجلاني بشدة ما أسماه "المسائل الطفولية" في الفقه، واعتبر أن الانشغال بها على حساب العلوم المنجيات من دلائل الخيبة والخسران. كما حذر من أن علم الكلام إذا انحرف عن التوحيد أصبح آفة على صاحبه.

- الاهتمام بالقضايا الفلسفية والطبيعية: خصص الوارجلاني جزءاً من رسالته للحديث عن الجبروت، وأحوال الفلك، وتركيب جسد الإنسان مماثلاً لتركيب الأفلاك والأركان الأربعة، مما يعكس تأثره بفلسفة العصر، وتحديداً برسائل إخوان الصفا.

بناءً على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، أوصي بما يلي:

- الاهتمام بتحقيق تراث الوارجلاني الآخر: لا تزال هناك مؤلفات أخرى للوارجلاني لم تحقق بعد، مثل «تفسير القرآن الكريم» (في سبعين جزءاً)، و«فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب» (المفقود)، أوصي الباحثين بالإقبال على تحقيق هذه النفائس.
- إجراء دراسات مقارنة: أوصي بإجراء دراسات مقارنة بين رسالة "منازل السفر إلى الله" ومصادرها الرئيسية (خاصة «إحياء علوم الدين» و«رسائل إخوان الصفا»)، للكشف عن منهج الوارجلاني في النقل والاقتباس والتمحيص.
- توثيق فهارس المخطوطات الإباضية في الجزائر: أوصي بتوحيد جهود الباحثين والمؤسسات التراثية (كجمعية التراث بغرداية) لوضع فهارس شاملة ودقيقة للمخطوطات الإباضية في الجزائر، تسهل على الباحثين التعرف على التراث والوصول إليه.
- إنشاء قاعدة بيانات رقمية للمخطوطات الجزائرية: أوصي بالاستفادة من التكنولوجيا الحديثة لمسح المخطوطات الجزائرية (خاصة النفيسة والنادرة) وتحويلها إلى صور رقمية، تكون متاحة للباحثين عبر الإنترنت، مما يحافظ على المخطوطات من التلف ويسهل الوصول إليها.
- تشجيع الدراسات الأكاديمية حول الكلام المغربي: أوصي الجامعات ومراكز البحث بتشجيع الدراسات التي تتناول الكلام المغربي بوصفه مدرسة فكرية مستقلة، لا مجرد تابع للكلام المشرقي، وذلك من خلال تخصيص حلقات بحث ورسائل جامعية وندوات علمية لهذا الموضوع.
- الاهتمام بتربية جيل جديد من محققي المخطوطات: أوصي المؤسسات التعليمية والتراثية ببرامج متخصصة لتأهيل محققين شباب، يجيدون قراءة الخطوط المغربية، ويتقنون منهجية التحقيق العلمي، ويستطيعون مواصلة مسيرة إحياء التراث المخطوط.

6. قائمة المراجع

- باجو، مصطفى بن صالح، (2008)، أبو يعقوب الوارجلاني أصولياً، عمان، وزارة التراث والأوقاف.
- بحاز، إبراهيم والسالمي، عبد الله، (2008)، معجم مصطلحات الإباضية، عمان، وزارة التراث والأوقاف.

- البيهقي، أحمد بن الحسين، (1990)، شعب الإيمان، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، (1977)، معجم البلدان، لبنان، دار صادر.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (1980)، الروض المعطار في خبر الأقطار، لبنان، مؤسسة ناصر للثقافة.
- الدرجيني، أحمد بن سعيد، (1975)، طبقات المشايخ بالمغرب، الجزائر، مطبعة البعث.
- الزمخشري، محمود بن عمر، (1996)، الفائق في غريب الحديث، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الشماخي، أحمد بن سعيد، (1987)، كتاب السير، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.
- ابن أبي شيبة، عثمان بن محمد، (1981)، المصنف: كتاب الإيمان والرؤيا، الهند، الدار السلفية.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، (1983)، المعجم الكبير، مصر، مكتبة ابن تيمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- عمر، أحمد مختار، (1993)، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، السعودية، دار عالم الكتب.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (1982)، إحياء علوم الدين، لبنان، دار المعرفة.
- الفراهيدي، الربيع بن حبيب، (1994)، الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب الأزدي، سلطنة عمان، مكتبة مسقط.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (1989)، الرسالة القشيرية، مصر، دار الشعب.
- معصوم، فاروق، (1998(، إخوان الصفاء: فلسفتهم وغاياتهم، سوريا، دار المدى للثقافة والنشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مصر، دار المعارف.
- ناصر، محمد بن صالح وآخرون، (1990)، معجم أعلام الإباضية: من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر، الجزائر، جمعية التراث.
- نجيب، أحمد علي، (2001)، البوسنة والهرسك دراسة عامة، لبنان، دار البشائر الإسلامية.
- الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، (1983)، الدليل والبرهان، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.
- الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام، (2009)، سير الوسياني، الجزائر، وزارة التراث والثقافة.

7. Bibliography List

- Al-Bayhaqī, Aḥmad b. al-Ḥusayn, (1990), Shuʿab al-Īmān, Lebanon, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Al-Darjīnī, Aḥmad b. Saʿīd, (1975), Ṭabaqāt al-Mashāyikh bi-al-Maghrib, Algeria, Maṭbaʿat al-Baʿth.
- Al-Farāhīdī, Al-Rabīʿ b. Ḥabīb, (1994), Al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ Musnad al-Rabīʿ b. Ḥabīb al-Azdī, Sultanate of Oman, Maktabat Masqaṭ.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad b. Muḥammad, (1982), Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn, Lebanon, Dār al-Maʿrifah.
- Al-Ḥamawī, Yāqūt b. ʿAbd Allāh, (1977), Muʿjam al-Buldān, Lebanon, Dār Ṣādir.
- Al-Ḥimyarī, Muḥammad b. ʿAbd al-Munʿim, (1980), Al-Rawḍ al-Miʿṭār fī Khabar al-Aqṭār, Lebanon, Nāṣir Foundation for Culture.
- Al-Qushayrī, ʿAbd al-Karīm b. Hawāzin, (1989), Al-Risālah al-Qushayriyyah, Egypt, Dār al-Shaʿb.
- Al-Shammākhī, Aḥmad b. Saʿīd, (1987), Kitāb al-Siyar, Sultanate of Oman, Ministry of National Heritage and Culture.
- Al-Ṭabarānī, Sulaymān b. Aḥmad, (1983), Al-Muʿjam al-Kabīr, Egypt, Maktabat Ibn Taymiyyah.
- Al-Wārjalānī, Abū Yaʿqūb Yūsuf b. Ibrāhīm, (1983), Al-Dalīl wa-al-Burhān, Oman, Ministry of National Heritage and Culture.
- Al-Wasyānī, Abū al-Rabīʿ Sulaymān b. ʿAbd al-Salām, (2009), Siyar al-Wasyānī, Algeria, Ministry of Heritage and Culture.
- Al-Zamakhsharī, Maḥmūd b. ʿUmar, (1996), Al-Fāʾiq fī Gharīb al-Ḥadīth, Lebanon, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Baḥḥāz, Ibrāhīm & Al-Sālimī, ʿAbd Allāh, (2008), Muʿjam Muṣṭalaḥāt al-Ibāḍiyyah, Oman, Ministry of Heritage and Culture.
- Bājū, Muṣṭafā b. Ṣāliḥ, (2008), Abū Yaʿqūb al-Wārjalānī Uṣūliyyān, Oman, Ministry of Heritage and Culture.
- Ibn Abī Shaybah, ʿUthmān b. Muḥammad, (1981), Al-Muṣannaf: Kitāb al-Īmān wa-al-Ruʾyā, India, Al-Dār al-Salafiyyah.

- Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, (1984), Al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr, Tunisia, Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.
- Ibn Manẓūr, Muḥammad b. Mukarram, (n.d.), Lisān al-ʿArab, Egypt, Dār al-Maʿārif.
- Maʿṣūm, Fārūq, (1998), Ikhwān al-Ṣafāʾ: Falsafatuhum wa-Ghāyātuhum, Syria, Dār al-Madā lil-Thaqāfah wa-al-Nashr.
- Najīb, Aḥmad ʿAlī, (2001), Al-Būsnah wa-al-Harsak: Dirāsah ʿĀmmah, Lebanon, Dār al-Bashāʾir al-Islāmiyyah.
- Nāṣir, Muḥammad b. Ṣāliḥ et al., (1990), Muʿjam Aʿlām al-Ibāḍiyyah: Min al-Qarn al-Awwal ilā al-Qarn al-Khāmis ʿAshar, Algeria, Al-Turāth Association.
- ʿUmar, Aḥmad Mukhtār, (1993), Akhṭāʾ al-Lughah al-ʿArabiyyah al-Muʿāṣirah ʿinda al-Kuttāb wa-al-Idhāʿiyyīn, Saudi Arabia, Dār ʿĀlam al-Kutub.